تحدِّي الحوار مع الأبناء في العصر الرقمي أو عصر الشاشات

القس إرميا عبد المسيح

الحوار هو أسلوب مميز وضروري للحياة، كما أنه وسيلة للتعبير عن الحب وإنضاجه في الحياة العائلية. لكن يجب أن نعي أنه يحتاج إلى تدريب طويل وشاق؛ فكل إنسان لديه وسيلة ولغة مميَّزة للتواصل والتفاعل حول موضوع معين -سواء بشكل موضوعي أو ذاتي- للوصول لإثبات الرأي الشخصي أو التوافق بين جميع الأطراف. فإن كنا آباء وأمهات، أو أبناء وبنات، أو إخوة وأخوات مهما كانت أعمارنا وتنوعها، علينا أن نُدرك حقيقة الارتباط الأسري وعلاقته بتحقيق إنسانيتنا وارتقائها ونموها وتهذيبها على المستوى العلاقاتي والنفسي والروحي أيضًا. (سليمان نعيم، **أسرتنا في ظلال المسيحية**، 1971، 1.) ولا تستطيع أسرة أن تكون سبب غنى على جميع المستويات دون حوار.

فالحوار هو ما يخلق الوحدة والحب داخل الأسرة، ومن ثمّ يؤثر ذلك على المجتمع إيجابيًّا كنتيجة طبيعية. فإن أسرة اليوم تتنوع ما بين رب الأسرة، والأم ربة المنزل أو العاملة أصحاب الخبرات العملية، والأبناء الذي ينتمون لعصر الذكاء الاصطناعي وجيل التقنيات الحديثة بكل ما يحمله من تطور سريع ومستمر. هذا التنوع يمكن أن يقودنا إلى نقاش وحوار ينمي التفكير النقدي وتعزيز الثقة وبناء الشخصية. إذًا كيف تكون الأسرة هي من تمتلك بادرةَ القيادة في نموذج حواري يتطلع لقبول الآخر واحترامه دون منع أو رفض؟ فنحن نعيش الآن في عصر تطور وسائل التواصل الاجتماعي، وتأثير الشاشات الواضح على أبنائنا. لذا سيظل السؤال هو كيف يُصبح الحوار الأسري حاجةً إنسانيةً مُلحةً ومرغوبةً تُشكل حياة أبنائنا وتؤثر بغنى في شخصياتهم؟

وسنتحدث في هذا المقال حول ما هو العصر الرقمي الذي اقتحم حياتنا، وما هو تأثيره على الحوار بين الأبناء والوالدين؟ ولماذا يُمثل تحدِّيًا في علاقاتنا بأبنائنا وحوارنا معهم؟ كما سنتطرق إلى الاحتياجات الأساسية لدى أبنائنا الذين تكون التكنولوجيا أحيانًا هي البديل المزيف لهم، وكيف يكون التفهم لاحتياجاتهم عاملًا مهمًّا في الحوار معهم؟

إن العصر الرقمي هو ما نراه حولنا من التطور الحادث في التكنولوجيا والتقنيات الحديثة في التواصل، ووجود الكثير من الشاشات التي من خلالها يتم عبور القارات، كما لا نستطيع في كثير من الأحيان إبعاد أنظارنا عنها. فربما أبنائنا لم يشاهدوا تحديات الكتابة قديمًا باستخدام الآلة الكاتبة، أو الكاسيت لسماع موسيقى باستخدام شرائط الكاسيت، أو الفيديو لمشاهدة الأفلام. نعم، لقد حدث تطور سريع ومبهر في الحياة مما جعل هناك طفرة في التكنولوجيا والأجهزة الرقمية الذكية، ووجود شبكات إنترنت عالمية، ووسائل التواصل الاجتماعي، وألعاب

فيديو للتسلية، وخدمات البث المباشر. كما أصبح التعليم حاليًا على المنصات التعليمية عن بُعد ولا حاجة لنا للجلوس بطريقة تقليدية في مجموعات، بل أصبح التلاقي من خلال الشاشات. وأيضًا العمل من المنزل في كثير من الشركات العالمية المرموقة يتم من خلال لقاءات حية عبر الاتصال المباشر من خلال ما تتيحه هذه التقنيات من وسائل وطرق عملية تتخلل جميع جوانب حياتنا. حتى العبادة تأثرت؛ فأصبح هناك بثٌّ مباشر للخدمات والعبادة الكنسية.

كل ما نراه حولنا يتنفس تكنولوجيا، ويتعامل معها على أنها الواقع الأول والأهم والمُنقذ لكل شيء في هذه الحياة وللمستقبل القادم. لا ننكر التأثير المميَّز لهذا التطور من خلال سهولة الإنجاز والتواصل. لكنه أيضًا يخلق تحديات في تواصلنا وحوارنا مع أبنائنا، فالتكنولوجيا واستخدام الشاشات أثرت على أمخاخنا وتواصلنا مع بعضنا البعض (كاثي كوك، **المراهقون والشاشات**، 2022، 43) فنحن اليوم نتكلم دون أن نفتح فمنا وبدون أن نُحدث أي صوت، نتقابل من خلف هذه الشاشات دون المصافحة بالأيدي، وكثيرًا ما نضحك أو نحزن أو ننزعج دون ملامح أو صوت نكتفي فقط بإرسال صور تعبيرية "EMOTIONS" في رسائل نصية خلال محادثات من خلف شاشات في تواصل يُحاكي الواقع افتراضيًّا. (**DOCAT** تعليم الكنيسة الكاثوليكية الاجتماعي للشبيبة، لبنان، 2017 ، 25)**.** وهذا يخلق سؤالًا بديهيًّا: هل وسائل التواصل عبر الشاشات التي أنشأتها التقنية الرقمية تمثل تحديًا في واقع أبنائنا اليوم أم لا؟ وكيف نعي تأثيرها على الحوار في علاقة الآباء والأمهات بالأبناء؟ وهذا ما سنتطرق إليه...

تأثير التواصل من خلف الشاشات على الحوار بين الوالدين

إن لهذا العصر طبيعةً تؤثر بشكل أو بآخر في علاقتنا بأبنائنا وفي حوارنا معهم، وسمات هذا الجيل:

1. **السرعة:** نحيا في عصر يتحدَّى فينا طول الأناة والمثابرة، وذلك بسبب طبيعة عصرنا الذي يتميز بالسهولة والسرعة بعض الشيء؛ فقد تم التعود على الفوز السريع في ألعاب الفيديو، المعلومات بدون عناء البحث، استخدام التطبيقات لحجز التذاكر أو في الشراء دون عناء الذهاب إلى المتاجر... وغيرها من الأمور. أصبحت حياتنا مع التطور مليئةً بالشاشات، ومع كثرة استخدام التكنولوجيا، تأثر الوالدان والأبناء والعلاقة بينهما؛ فأصبحت هناك فجوة تأثرت بعدم الصبر على الحوار والتواصل الفعلي، مما يؤثر على التواصل العميق المهم لنضوج علاقتنا وأيضًا شخصياتنا، كما كتب ماكسويل قائلًا: "إننا نعيش في عالم نفد صبره" (ماكسويل، **ثقافة التواصل**، 2012، 118).

2. **استهلاكي:** نعيش في عصرٍ استهلاكيٍّ سريع يهتم بالمادة، ويضع أولويةً للنتائج من منظور ربحيّ، ولا يعطي قيمةً للعلاقات. والحقيقة أن هذا التوجه في الحياة مع زيادة التطور التكنولوجي يخلق فجوات مدمرة داخل العلاقة بين الأسرة الواحدة، التي لا غنى للآباء والأمهات، وعن دورهم في حياة بعضهم البعض وحياة أبنائهم. كما أننا نحتاج أن نُدرك أن الخبرات والعلاقات الإنسانية العميقة لها دور مهم في تشكيل شخصياتنا واختياراتنا في المستقبل. بينما تحديات عصرنا الحالي المتميز بالتكنولوجيا ووسائل التواصل السريعة، التي نعتقد أنها جعلت الحياة أسهل في جوانب عديدة، ولكنها وضعت تحديات وأحمالًا أصعب في الحوار والتربية داخل الأسرة. والدعوة لنا ليست بمطالبات وثورة للرجوع إلى أزمنة سابقة؛ لأن التكنولوجيا ستمضي قدمًا وعلينا أن نسايرها، ونفكر في طُرق لتفهم أبنائنا والحوار معهم بشكل فعال ويناسب احتياجاتهم. وأمام تحدي عصر استهلاكي يربط السعادة بالمادة، يجب أن نؤكد على أهمية الوقت للعلاقات، وخصوصًا الأسرة، وأهمية خلق أرضية مشتركة من خلال الدخول إلى عالم أبنائنا ببساطة وحب وتفهم لكي يكون هناك حوار بناء.
3. **الجيل الرقمي:** الأطفال الذين نشأوا في رحم الواقع الرقمي هم مغمورون في طوفان رقمي، حتى أنهم يعتادون أن هذا جزء من الحياة الطبيعية التي يعيشونها لأنهم ولِدوا فيها، وذلك عكس طبيعة الآباء الذين عاشوا قبل هذه الطفرات الحديثة (دون تابسكوت، **جيل الإنترنت**، 2006، 30). فمع التطرف في الاستخدام أصبحت الشاشات هي الرب والصديق الدائم الذي يتم تكريس الوقت والجهد له؛ فبدون أن نُدرك صارت التكنولوجيا إلهًا يعزز بداخل الأبناء الفردية الشخصية التي تؤثر على الحوار في الأسرة، وتملاهم بفكر أنهم مركز الحياة. هذه التكنولوجيا عزَّزت الفردية، فأصبح لكل فرد منبره الخاص الذي من خلاله يعبر عن ذاته، وكم هائل من الصور الفردية وفيديوهات التيك توك أو اللايف في منصات التواصل الاجتماعي، مما تعمق الفردية والاكتفاء الذاتي للاستمتاع. وأيضًا الاعتماد على الذات في اكتساب المعلومات والوصول إليها دون التأكد من مصدرها أو مدى حقيقتها. فتقول الأستاذة جين تواينج بحسب اختبار الشخصية النرجسية الذي أجرته على مجموعة من الشباب في الفترة ما بين الثمانينات من القرن الماضي، وعام 2006: "أبناء هذا الجيل لديهم شعور بالنرجسية أشد بكثير مما كان عليه الطلاب منذ 25 عامًا." (تابسكوت، 35)، وبالطبع هذا يؤثر على الحوار بين الوالدين والأبناء؛ وذلك لأن أحد ركائز الحوار هو الآخر. وبدون هذه النظرة الغيرية التي هدفها الآخر، وتفهُّمه، وخلق توافق مشترك سيصبح الحوار فوضويًّا ذاتيًّا هدفه إثبات صحة الرأي الشخصي -بنرجسيةٍ- مما يخلق حدةً وصراعًا.

4. **جيل متغير بشكل سريع:** إن العالم التكنولوجي متغير بشكل سريع، مما يشكِّل تحدِّيًا في فهم احتياجاتهم؛ فهم يتأثرون بملامسة شاشة وبكم هائل من المؤثرات في هذا الفضاء الإلكتروني، مما يخلق توترًا في العلاقة والحوار معهم، والشعور بالتشتت الدائم من جانبهم نتيجة لتشتتهم بهذا الانفتاح وعدم فهمهم الحقيقي لأمور حولهم، ولكن بداخلهم شعور وهمي وغير واقعي بالفهم والاستيعاب والإدراك الكامل لكل ما يحدث. وهذا التضارب بين التغيُّب عن الواقع والإحساس بامتلاك الكون كنتيجة لعدم فهمهم لهويتهم وصقل إمكانياتهم، نتيجة لتعرضهم لكمٍّ عنيف من المؤثرات من خلال الفضاء الالكتروني الذي يشكل مؤثرًا متغيرًا دائمًا على أفكارهم وسلوكهم.
5. **جيل يحيا في ضغط المقارنات:** ضغط دائم حول الإمكانيات، عوامل الجمال، الأناقة، والمواهب. كما تضع هذه المقارناتُ ضغوطًا على الآباء وكل من يتعاملون معهم، ونتيجة للتطور المستمر والدائم للتكنولوجيا، ومع وجود وسائل التواصل الاجتماعي والمشاركات الحياتية اليومية للأماكن والهدايا والمشتريات، وأيضًا الأزياء، حتى الأكل والمطاعم. فإن كل هذا يجعل الأبناء في تحدي المقارنة الدائم مع غيرهم، ويتطلعون للحياة والسعادة بحسب الواقع الافتراضي ومحاكاته. وبمشاركة كل هذا مع والديهم يمثل أحد تحديات العلاقة والتفهم والحوار داخل الأسرة نتيجة وضع أثقال ومتطلبات دائمة ومتغيرة بهوية غير ثابتة ومتأرجحة.
6. **الشاشات والتكنولوجيا ربما تخلق بدائل مزيفة عن الاحتياجات الحقيقية**: فهي تُغذي الانتماءات الزائفة سواء علاقات أو متابعة لصفحات متعددة، فإن الشاشات أصبحت تحتل جزءًا كبيرًا من حياتنا، وربما لا يمكن الاستغناء عنه، لذا نحتاج للاعتراف بتأثيرها الإيجابي والسلبي. وعندما سُئل أحد الخبراء في تأثير الميديا على الثقافة والحياة، قال: "سريعة ورخيصة ومؤثرة ولطيفة، وهذا هو الجزء الجيد في الأمر. أما الجزء السيئ فهو أنها سريعة ورخيصة ومؤثرة ولطيفة." (كوك، 14). إن عصر اليوم يتطلب منا التعامل مع الواقع وليس الهروب منه. فالتكنولوجيا لها مميزات كما أن لها تحديات، وعلينا أن نتعامل مع هذا الأمر بحكمة وفهم لواقع حياة أبنائنا، والتطلع لربطهم بما هو حقيقي لخلق هوية وشبع لاحتياجاتهم الحقيقية.

تفهُّم احتياجات أبنائنا الأساسية

لا نستطيع أن نقيم حوارًا بنَّاءً مع أبنائنا دون أن نفهم طبيعة العصر، وما احتياجات أبنائنا الأساسية التي قد تسعى التكنولوجيا لتسديدها بشكل غير سوي، وكبديل مزيف، مما يُدمر بناء شخصية أبنائنا ويؤثر عليها بشكل سلبي. لقد قدمت كاثي كوك في كتابها "المراهقون والشاشات.. الاتصال في عالم التكنولوجيا" خمسة احتياجات

أساسية عميقة لدى كل إنسان، وهذه الاحتياجات تمثل تحديات حقيقية يواجهها أبناؤنا وتتحدانا نحن أيضًا عندما نواجه عالم الشاشات والثقافة الرقمية، وقد تؤدي بنا إلى بديل مزيف لا ينجح في تسديد احتياجهم:

1. **الاحتياج للأمان:**

الأمان أول احتياج عميق لدينا، وهو يرتبط بسؤال مهم نطرحه دائمًا في يومنا: من أستطيع الوثوق به؟ فكل إنسان لديه هذا الاحتياج المُلح، أما التكنولوجيا وإتاحتها بشكل سريع ومثالي، جعلتهم يثقون بها دون رؤية نهاية الوصول إلى أين. لكن يجب أن نُدرك ونفهم أن التكنولوجيا ليست هي ما صممه الله لتسديد الاحتياج بالأمان سواء لنا كآباء أو لأبنائنا.

2. **تحدي الهُوية:**

وهو يرتبط بسؤال: من أنا؟ فطريقة تعريفنا لأنفسنا تؤثر على سلوكنا، فمن المهم أن تكون هويتنا حاضرةً وصادقةً وفيها نرى أنفسنا بدقة؛ لأن تجاهل نقاط ضعفنا أو إنكار نقاط قوتنا يُعبِّر عن عدم نضوج. وتحدي الهوية ينبع أمام الكم الهائل والمتنوع من المؤثرات والأفكار والأحداث التي تُصدر وتملأ كيان أبنائنا، وهذا ما يجعلهم أكثر عُرضة للارتباك بشأن هويتهم.

وهذا يخلق تحديًا في الحوار بين الآباء والأبناء، فمع التعرض الهائل للمؤثرات الخارجية يخلق صعوبة معرفة الآباء للأبناء معرفة جيدة. فتغير الأفكار بشكل مستمرٍّ يخلق تغيرًا في الأصوات والتوجهات داخل عقل الأبناء مما يخلق تشويشًا واضطرابًا لدى الآباء في الحوار مع أبنائهم. ولكن الحل هو وجود عقل مُصاحب يتعامل باتضاع وتقدير وتفهُّم لما يمر به أبناؤنا في هذا العصر، وهذا يتطلب مثابرةً وإصغاءً بصبر وتقديرًا لمعانتهم في البحث عن هويتهم.

3. **تحدي الانتماء:**

والسؤال هنا حول: من يُريدني؟ يعتمد الائتمانُ على شعورنا بالأمان وإدراكنا بهويتنا. وفي عالم السوشيال ميديا يبحث أبناؤنا عن مساحات من الأمان لتسديد احتياج لديهم بالانتماء، فتصبح التكنولوجيا والوجود خلف الشاشات أولوية عن الأشخاص. فانتقاء الانتماء خلف الشاشات أسهل من تحدِّي الوجود في عائلاتنا وكنائسنا، والصراع مع أشخاص مختلفين عنهم سواء في الفكر أو الاهتمامات. وهنا يجب أن نتعامل مع الأمر بحكمة؛ فالحوار يجب أن يأخذ أشكالًا مختلفة مع أبنائنا، ربما خروج للأكل سويًّا، أو قضاء وقت للعب، أو إصغاء بتقدير وقبول غير مشروط لأولادنا. حيث تخلق هذه الأوقاتُ الانتماءَ والتواصلَ بين أفراد الأسرة بدون شاشات. فإذا انتمى أولادنا للعائلة، سيستطيعون مواجهة تحدِّي الانتماء الوهمي المُعرضون له في وسائل التواصل الاجتماعي.

4. **تحدِّي الغاية:**

وهو تحدٍّ مرتبط بسؤال: لماذا أعيش؟ إن أبناءنا في هذا العصر لديهم مواهب متعددة وأشكال مختلفة من الشغف، ولكنهم يُعانون أمام تلميع بعض النماذج في وسائل التواصل الاجتماعي، مما يخلق تشويشًا على غايتهم الخاصة. فمعرفة غايتهم الشخصية تمثل الآن تحديًا صعبًا، وعلينا أن نكون وسائل مساعدة لمساندتهم ومساعدتهم على اكتشاف غايتهم الخاصة أمام خيارات كثيرة ربما تعوقهم عن الحركة. كيف للآباء أن يكونوا الأمل والنور المساعد لاكتشاف الغاية أمام عالم كبير وهائل يقف في وجه أبنائهم الصغار؟

5. **الكفاءة:**

وهو سؤال مرتبط بماذا أُتقن؟ إن اكتشاف أبنائنا ما الذي يتقنونه، وما هي قدراتهم وإمكانياتهم يرتبط بأشخاص محل ثقة يتحدثون بحكمة، وبمنطقية، ويعطونهم الأمان، والرؤية الحقيقية لما يستطيعون القيام به. هناك علاقة بين الكفاءة وفهم الهوية (من أنا)، ويكتشف أبناؤنا ما يتقنونه عندما يكونون منتمين لآخرين (الانتماء)، وهذا يجعلهم على وعي بغايتهم المتفردة، فبدون الغاية لن يكون هناك حاجة أو دافع لإتقان أي شيء.

إن لغة الحوار ستؤثر على أبنائنا بشأن فهمهم لهويتهم، وقبولهم لأنفسهم، واختياراتهم لغايتهم، ومشاركة أسبابهم وتحدياتهم أمام دوافعهم؛ فلا بديل عن الحوار والإصغاء لأحدنا الآخر. إننا نحتاج أن نُصاحب عقول أبنائنا ونتواصل مع كيانهم العميق من خلال تفاعلنا معهم لفهم كيف يستقبلون الأمور في عصر الثورة الرقمية. فالتكنولوجيا غيرت نمط التواصل، كما غيرت أيضًا أمخاخنا معها وطريقة استقبالنا للأمور. فأبناؤنا يحترمون العلاقة الصادقة ويتأثرون بها، وتخلق لديهم معتقدات للحياة والسلوك. ويجب أن نعمل دائمًا على تنمية علاقتنا بهم من خلال الشركة والحوار البنَّاء. فإن أبناءنا يريدون معرفة يسوع والانتماء له، وفهم غايتهم بالحياة، وأن يكونوا مؤثرين في الملكوت، ولا بديل عن الأسرة كقناة لتوصيل نعمة الله لهم.

المراجع

تابسكوت، دون. **جيل الإنترنت: كيف يغير جيل الإنترنت عالمنا.** القاهرة: هنداوي للنشر، 2012.

سي، جون ماكسويل، **ثقافة التواصل كثيرون يتحدثون قليلون يتواصلون.** عمان: دار منهل، 2012.

كوك، كاثي. **المراهقون والشاشات الاتصال بأبنائنا في عالم التكنولوجيا.** القاهرة: مطبوعات إيجلز، 2022.

نعيم، سليمان . **أسرتنا في ظلال المسيحية**. القاهرة: جمعية أصدقاء الكتاب المقدس القبطية الأرثوذكسية بشبرا، 1981.

DOCAT تعليم الكنيسة الكاثوليكية الاجتماعي للشبيبة، لبنان، 201.